- الوضع والاستعمال في القرآن الكريم:

القرآن الكريم نبع لا ينضب معينه، فهو مقصد كثير من الدارسين وكلهم يجد فيه مادة غزيرة لبحثه لا غرو في ذلك، فهو كتاب العربية الأعظم. توالت الأبحاث والدراسات القرآنية من القدماء والمحدثين على اختلاف عصورهم وبيئاتهم محاولة اجتلاء السر في إعجاز القرآن وتفهم ألفاظه ومعانيه ورصد ماهية دلالتها ومقاصدها وبيان الدفقة الهائلة التي حظيت بها اللغة العربية بنزول القرآن بها.

فكتاب الله تعالى أفضل ما اشتغل به المشتغلون وأولى ما عني به الدارسون ودراسة الجوانب اللغوية المتعلقة به قد افتتحها العلماء الأوائل منذ العصور الأولى وهذا لكون النص القرآني حقل لغوي يحمل الكثير من الدلالات التي تعود إلى تعدد القراءات القرآنية وكذا تعدد تفاسيره. وسار الدرس اللغوي عامة والنحوي خاصة - بجانبه الافرادي والتركيبي- جنبا إلى جنب مع علوم القرآن الكريم، خدمة له وللعلوم المستمدة منه ، التي تنبني عليها عبادات الناس ومعاملاتهم.

أ - في رحاب سورة البقرة:

1) التعريف بالسورة:

هي سورة مدنية من السور الطوال، وتعتبر السورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف حيث أنها أول سورة نزلت بالمدينة. وقد أجمع علماء التفسير أن عدد آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات(1) على اعتبار البسملة آية.

وقد ذكر صاحب التفسير الكبير الامام فخر الدين الرازي أن عدد آياتها 286 آية كلها مدنية إلا الآية "281" قوله تعالى : "**وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ**

(1): فخر الدين الرازي: "التفسير الكبير- مفاتيح الغيب"، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1411هـ - 1990م الجزء2، ص: 3.

نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ" (البقرة 281)، وأضاف الصابوني أن هذه الآية نزلت بمنىً في حجة الوداع[1].

ظلت آيات سورة البقرة تتوالى نزولا لسنوات عديدة، حيث كانت تنزل آيات سور أخرى أثناء نزول آياتها. وكان سيدنا جبريل - عليه السلام – ينزل بالآية ، وموضعها من سورتها على النبي– صلى الله عليه وسلم – فيأمر كتاب الوحي بأن توضع آية كذا في سورة كذا، محددا موضعها. وحين تم القرآن الكريم نزولا كانت كل آية في كل سورة في موضعها المحكم وكذلك كل سورة في موضعها من النسق الكلي للقرآن الكريم على النحو الذي هو عليه في اللوح المحفوظ[2].

<u>2) سبب تسمية السورة:</u>

سميت السورة الكريمة "سورة البقرة" كما ذكر في كتب التفسير: "سميت تذكيرا لحادثة تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم (عليه السلام)، حيث قتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل ، فأوحى الله إليه أن يأمر قومه بذبح بقرة وأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل وتكون برهانا على قدرة الله جل وعلا في إحياء الخلق بعد الموت[3].

إن قوم موسى عندما أنكروا ذبح البقرة كانوا يرون أنه لا علاقة بين ذبح البقرة ومعرفة القاتل وهذا إنكار للغيب وأسلوب مجادلة استخدموه مع رب العزة ، لذا فهذه القصة تحمل الكثير من الملامح و الدلالات الايمانية (الايمان بالغيب).

---

(1): محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير بعد تجريده من البيان"، دار الصابوني، مكة المكرمة- السعودية، المجلد الأول، 1399هـ ، ص: 14.

(2): محمد توفيق، منهج البحث البياني عن المعنى القرآني، مطبعة الاخوة الأشقاء – مصر – د.ط. د.ت، ص:19.

(3): الصابوني، صفوة التفاسير، ص: 15.

3) المعنى الإجمالي للسورة:

تضم هذه السورة العظيمة عدة مواضيع يجمعها محور واحد مزدوج ، يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا فهي من ناحية تدور حول موقف بني اسرائيل من الدعوة الاسلامية في المدينة واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها صلى الله عليه وسلم وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة ، وبين اليهود والمشركين من جهة اخرى.

وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول شأنها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض ، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها ونقضهم لعهد الله بخصوصها ، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم (عليه السلام). تعنى سورة البقرة بجانب التشريع شأنها كسائر السور المدنية التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية(1).

إن سورة البقرة تهدف إلى جانب من التشريع الذي ينظم حياة المسلمين للإستخلاف في الارض حيث جمعت أصول العلاج لمشاكل الانسان وهي: العقيدة، الشريعة، المعاملات. وهو يتطلب خطابا هادئا يراعي نفسية المسلمين حتى يعرفوا ماذا يفعلون ومما يحذرون، فالمسؤولية في خلافة الأرض تعني أن نعبد الله كما شاء وأن نتبع أوامره وندع نواهيه.

ويرى الشيخ محمد عبد الله دراز – رحمه الله - : أن هذه السورة على طولها، تتألف من مقدمة، وأربعة مقاصد وخاتمة:

- المقدمة: من الآية (1 --> 20) في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من

---

(1): سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، 1386هـ 1967، ج1، ص:8 وما بعدها.

هداية قد بلغ من الوضع مبلغا لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أومن كان في قلبه مرض.

- المقصد الأول: دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام من الآية (21 --> 40)

- المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم، والدخول في هذا الدين الحق من الآية (41 --> 162).

- المقصد الثالث: في عرض شرائع الدين الإسلامي مفصلا من (163 --> 283).

- المقصد الرابع: آية واحدة وفيها الوازع الديني الباعث على ملازمة الشرائع والعاصم من مخالفتها، وهي الآية رقم (284).

ثم الخاتمة في التعريف بالذين استجابوا وما أعد لهم من الآية (285 --> 286)(1).

ومن جهة نظر أخرى يرى محمود توفيق سعد أن السورة تتكون من مقدمة وقسمين كبيرين وخاتمة حيث يقول : "الذي أذهب إليه أن تقسيم العلامة دراز أفضل من تقسيمات أخرى إلا أنني أميل إلى أن السورة مكونة من مقدمة وقسمين كبيرين وخاتمة"(2).

المقدمة من الآية (1 --> 20) مثلما أبان عنه الدكتور دراز.

والقسم الأول من الآية (21 --> 167) من قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة: 21) إلى آخر قوله تعالى:" وَقَالَ الَّذِيـــــنَ

(1): محمد عبدالله دراز، النبأ العظيم- نظرات جديدة في القرآن الكريم. دار الثقافة، الدوحة- قطر. د. ط، 1405هـ ، ص 163 وما بعدها، تقلا عن عادل عبد الرحمن عبد الله ابراهيم، النظام المقطعي ودلالته في سورة البقرة (دراسة صوتية وصفية تحليلية)، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة، ص: 56

(2): محمد توفيق سعد، منهج البحث البياني عن المعنى القرآني، ص: 137.

اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"(البقرة: 167)، وهذا القسم قائم بالحقائق والتكاليف العقدية الإيمانية.

القسم الثاني من الآية (168--> 283) من أول قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ"(البقرة: 168) إلى آخر قوله تعالى:" وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ"(البقرة:283)، وآيات هذا القسم معقودة لبيان أحكام الشريعة ، لتكتمل بها صورة الإسلام وهديه عقيدة وشريعة.

لقد بدأ هذا الشطر بدعوة الناس كافة إلى أن يأكلوا مما في الأرض حلالا طيبا، ولا يتبعوا خطوات الشيطان، لأنه عدوهم المبين، يتناغم مع ما عقدت له آياته من بيان احكام الشريعة، وأبرزها أحكام المطعم لأنها أساس الأعمال، فإن كل جسم نبت من حرام فإن مآله إلى النار ولا تقبل صلاته ولا صيامه ولا زكاته ولا حجه ولا جهاده، إلى آخر تلك الشرائع التي فصلتها آيات هذا العقد. وتوالت التشريعات، ليحقق الأمن من طيب المطعم، وأحكام الصيام والجهاد والحج والانفاق والقتال في الأشهر الحرم، والخمر والميسر، وأحكام الأسرة، وأحكام المعاملات المالية من صدقة وربا وقرض ورهن، فختم آيات هذا القسم بأطول آية : (آية المداينة) فآية الرهن، تؤكد الدعوة غلى الأمانة والقيام بحق الشهادة.

ثم تأتي الخاتمة : في ثلاث آيات (284-286) مقررة أن الكون كله لله وحده، وأن ما في الأنفس يحاسب الله عز وجل عليه، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، فكأن في هذه الآية تعقيبا على القسمين معا (العقدي والتشريعي)(1).

(1): محمد توفيق سعد، منهج البحث البياني عن المعنى القرآني، ص: 137-141، نقلا عن المذكرة السابقة، ص: 57.

ب) الوضع والاستعمال في سورة البقرة:

إن ما اصطلح عليه بالوضع في التحليل اللساني سماه الكثير من القدماء في القرآن الكريم "ما اتفق لفظه واختلف معناه" وهناك من أطلق عليه "المشترك اللفظي في الحقل القرآني".

المؤلفات في المشترك اللفظي في الميدان القرآني كثيرة والمشترك اللفظي بالنسبة للقرآن لم يرد بهذا المصطلح في اي مؤلف من المؤلفات التي تناولت هذه الظاهرة، ولعل السبب في ذلك أن كلمة "اللفظ" لا تقال في رحاب القرآن الكريم والبديل عنها هو 'الكلمات". ففي الإبانة لأبي حسن الأشعري: "فإن قال قائل: حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟ قيل له: «القرآن يقرأ في الحقيقة ويتلى ولا يجوز أن يقال: يلفظ به، لأن القائل لا يجوز له أن يقول : إن كلام الله ملفوظ به لأن العرب إذا قال قائلهم: لفظت باللقمة من فمي فمعناها: رميت بها، وكلام الله تعالى لا يقال: يلفظ به، وإنما يقال: يقرأ ويتلى ويكتب ويحفظ". لهذا السبب وضعت عناوين أخرى تحمل معنى المشترك اللفظي ولكنها لا تحمل اسمه"[(1)].

إن المفردات المتفق عليها بالوضع تأخذ دلالات مختلفة من خلال استعمالاتها المتعددة في سياقات القرآن الكريم في آيات من سور مختلفة.

وفيما يلي، آيات من سورة البقرة اتفقت مع آيات أخرى من سور القرآن في الكلمات (المفردات) أو بعض العبارات، واختلفت معها في الدلالة والتفسير والتأويل.

إن الاستعمال القرآني لبعض المفردات يراعي ما لكل منها من ملامح دلالية خاصة، ففي قوله تعالى:" وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ" (البقرة: 78)

---

(1): عبدالعال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1 1417هـ -1996م ص:31.

أتت كلمة "الظن" بمعنى الشك، ثم قال تعالى: "الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (البقرة:46) فهنا دلالتها لليقين، لأنهم لو لم يكونوا مستيقنين لكانوا ضلّالا وشكاكا في توحيد اله تعالى.

ومثله في اليقين قول المؤمن:" إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ"(الحافة:20) أي أيقنت، ومثله قواه تعالى:" وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا" (الكهف:53) أي أيقنوا.

ومما جاء في كلام العرب في (الظن) الذي هو يقين، قول دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مقاتل سراتهم في الفارسي المسرد

أي أيقنوا، ولذلك قال : بألفي مقاتل لأنه خوفهم لحاق جيش غطفان إياهم، فهو يخوف عدوه باليقين لا بالشك(1).

وقوله تعالى: "إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللّهُ يستهزئ بِهِمْ"(البقرة:14-15)، فاستهزاء البشر هو نوع من المعصية، واستهزاء الله عز وجل عذاب لهم وتنكيل(2).وقوله تعالى:" لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"(البقرة:286)، لمعنى واحد، كقولك: نظرته وانتظرته، وقدرت عليه واقتدرت عليه وحفظت واحتفظت، وجرح واجترح، من الكسب.

وقوله تعالى:" فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ" (البقرة:194)، المعنى فاقتصوا منه، يخرج اللفظ ما قبله، فالعرب تقول: فعلت بفلان مثل ما فعل بي، أي اقتصصت منـــــه، والأول بدأ ظـــالما، والمكـافئ إنما أخذ حقـــه، فالفـعلان

(1): أبي العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، دراسة وتحقيق: أحمد سليمان ابو رعد، سلسلة الرسائل التراثية -1- ط1، 1409هـ، 1989م، ص:53-54.

(2): المرجع نفسه، ص: 58.

متساويان، والمخرجان متباينان، إذ كان الأول ظالما، والثاني إنما أخذ حقه(1).

قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا(2)

فلم يمتدح بأنه جاهل، وإنما قصد المكافأة والشرف في قوله: فوق جهل الجاهلينا.

وقوله تعالى عند ذكر الغيث:" وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُم"(البقرة:22) وقال:" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً"(الحج:63).

ثم ذكر المطر، فقال:" وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ"(الحجر:74) وقال:" فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء" (الأنفال:32) فلم يذكر المطر إلا عذابا فالإمطار إنزال، ولو اريد به الغيث لصلح.

وقد تصلح اللفظة لشيئين فتستعمل في أحدهما لأنها له كما للآخر فلا نقص في ذلك ولا تقصير، ولو ذكرت في غيره مما هي له لكان ذلك محلها.

قال جرير:

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما يرجى من المطر

يعني به الذي هو غيث.

فلم يكن الانزال مخصوصا به الغيث دون غيره، ولكن يكون له كما يكون لغيره، قال تعالى "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ"(ق:9)، وهنا خص به الغيث.

---

(1): المرجع السابق، ص: 56-57.

(2): المرجع نفسه ص: 59، نقلا عن جمهرة أشعار العرب، وتفسير الماوردي 72/71/1، ومعلقته بشرح التبريزي والمرتضى 8/2.

أما في قوله تعالى:" فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ"(البقرة:59)، لما ذكر العذاب أجراه فيه (أجرى الإنزال)، فهذا مثال ما اشترك في معنيين، ليختص به أحدهما في الموضع[1].

إن الاستعمال القرآني للفظي (الأب والوالد)، يراعي ما لكل منهما من ملامح دلالية خاصة، فالأب يطلق على الأب المباشر كما في قوله تعالى:" إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ"(يوسف:4)، كما يطلق على الجد وإن علا كما في قوله تعالى:" مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ"(الحج:78)، كما ورد مجموعا للدلالة على سلسلة الأجداد، كما في قوله تعالى: " قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا"(البقرة:170).

وهذا الاستعمال القرآني مرتبط باتساع الأصل اللغوي لكلمة (أب) وشمولها لكل ما كان سببا في وجود الشيء أو رعايته أو ظهوره. أما (الوالد) في الاستعمال القرآني فقد اقتصر على معنى الأب المباشر الذي هو سبب وجود الابن، وفي أكثر المواضع جاء في صيغة المثنى إيماءا إلى أن الأنثى هي الوالدة على الحقيقة وألحق بها الأب لأنه السبب المباشر في وجود الابن، ومن ذلك قوله تعالى: "لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً"(البقرة:83)واستقراء الآيات التي ورد فيها لفظ (الوالد- الوالدين) يدل على دقة التعبير القرآني، حيث أن الوالد- وهو الأب الأدنى (أي المباشر) دون غيره- قد استعمل في سياقات تقتضي قوة الرابطة والعاطفة، حيث المقام هنا مقام صلة روحية وعاطفية، وقد نبه القرآن الكريم على ذلك في كثير من الآيات.

واستعمل (الإيتاء) في القرآن الكريم للشيء الكثير والعظيم الشأن، كالملك والحكمة والرحمة والخير والقرآن العظيم، ومن ذلك الآيات الكريمة التالية: "وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ"(البقرة: 251).

---

(1): المرجع السابق، ص: 61-63.

وقوله تعالى: " يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (البقرة: 269).

وكذا قوله: " فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ" (آل عمران:148).

أما كلمة "الاعطاء" فتكون للشيء القليل، نحو قوله تعالى: "وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى" (النجم:34)[1].

يقول الله تعالى: " قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة:38).

وقوله: "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" (طه: 123).

ففي آية البقرة جاء الفعل المجرد (تبع) وهو يدل على مجرد الوصف بالاتباع. أما في آية طه فاقتضى السياق أن يستعمل الفعل المزيد (اتبع) بوزن (افتعل) وهو يفيد التجدد والتكلف، أي وجود مشقة في الفعل، ذلك لأن الآية في سورة طه، جاءت عقب ذكر عداوة ابليس لآدم- عليه السلام، فناسب ذلك تجديد الاتباع للهدى والاجتهاد في بلوغه، وعبر عن ذلك بالفعل المزيد (اتبع) الدال على التجديد والقوة والقصد[2].

---

(1): محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، د.ط. 2008، ص: 25--> 28.

(2): المرجع نفسه: 418-419.

أما بالنسبة للفعلين (شرى - اشترى)، فإن مادة (ش ر ى) في اللغة حول معنى المماثلة بين امرين أخذا وعطاءا، ولما كان البيع والشراء يتلازمان فقد استعمل الشراء بمعنى البيع كما استعمل البيع بمعنى الشراء[1].

لذا يستعمل الفعلان (شرى – اشترى) تارة بمعنى أخذ الشيء وتارة بمعنى دفع الثمن، ولكن الاستعمال القرآني فرق بين الفعلين، فخصص الصيغة المجردة (شرى) في معنى: باع الشيء وأخذ الثمن، كما في الآيات التالية:

قال تعالى:" وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ" (البقرة: 102).

وقوله تعالى:" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ" (البقرة:207).

والآية:" فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" (النساء: 74).

فقوله " شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ" في سورة البقرة معناه: باعوها، وقوله " يَشْرِي نَفْسَهُ" معناه: يبيعها، أي يبذلها في رضى الله.

أما في آية سورة النساء: " يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ" معناه: يبيعونها ويؤثرون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها[2].

أما الفعل المزيد بتاء الافتعال(اشترى) فقد تكرر في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة وكان بمعنى الشراء في هذه المواضع كلها، ومن ذلك الآيات التالية:

---

(1): ينظر. مقاييس اللغة، الصحاح، اللسان (ش ر ى) ومفردات الاصفهاني (ش ر ى)، نقلا عن المرجع السابق، ص: 419.

(2): المرجع نفسه، ص: 419-420.

قوله تعالى:" أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ" (البقرة:16).

وقوله:" إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ"(التوبة: 111).

وقوله:" وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ"(يوسف:21).

فالشراء هنا هو أخذ الثمن مقابل الشيء، سواء أكان هذا الثمن ماديا كما في آية سورة (يوسف:21)، أو معنويا كما في سائر المواضع الأخرى.

فالاستعمال القرآني غاير بين دلالتي (شرى – اشترى)، فجاءت الصيغة المجردة بمعنى البيع، والصيغة المزيدة بمعنى الشراء.

وتدور مادة (ك س ب) حول معنى: جلب النفع من مال وغيره، أو تحصيل ما هو مظنة للنفع.

والكسب: تحصيل ذلك، كما في قول الله عز وجل:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ" (البقرة:267).

وقد يستعمل الكسب في السيء، كما في قوله تعالى:

"فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ" (البقرة:79)، وقواه تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ" (الانعام:120).

والاكتساب: جاء على صيغة الافتعال الدالة على شدة الطلب، وقد غلب استعماله في الشر والسيء، لأن صيغة الافتعال تدل على المحاولة والاجتهاد في الطلب، والنفوس تنجذب إلى شهواتها السيئة، فعبر عن ذلك بصيغة الافتعال

ومن ذلك قوله تعالى: "لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ" (البقرة: 286)، أي لها عملها الصالح وعليها عملها السيء.

وقد يستعمل الاكتساب في معنى الخير كما في قوله تعالى:" لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ" (النساء:32).

إن الكسب لا يستعمل إلا في الخير، وأما الآيات التي ورد فيها بمعنى السيء، فلأن من يكسب سوءا أو اثما يظن في ذلك خيرا وتحصيل نفع. والاستعمال القرآني للفعل المجرد (كسب) في المعاصي والسيئات فهو على معنى التعود، فالعاصي قد اعتاد العصيان، فناسبه أن يسند إليه الفعل بصيغته المجردة (كسب). أما الصيغة المزيدة (اكتسب) فتدل على بذل الجهد، فناسب استعمالها في معنى الاجتهاد في تحصيل النفع أو ما هو مظنة النفع وإن كان شرا[1].

أما كلمتا (البأس – البأساء): فتدور مادة (ب أ س) في اللغة حول معنى الشدة، من فقر وخوف وجوع وحرب.

ولم تفرق المعاجم اللغوية بين البأس و البأساء، وجعلهما الراغب الاصفهاني أيضا بمعنى واحد، قال:" البؤس والبأس والبأساء: الشدة والمكروه، إلا أن البؤس في الفقر والحرب أكثر والأس والبأساء في النكاية"[2].

ولكن ورود اللفظين (البأساء، البأس) معطوفين في القرآن الكريم يقتضي تغايرهما، وذلك كما في قوله تعالى: "وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (البقرة: 177).

وما ذهب إليه أكثر المفسرين، وهو أن البأساء: الفقر، والضراء: المرض، والبأس: القتال، وهذا من بـــاب الترقي في الصبر من الشديـــد إلى الأشد، فذكر أولا الصبر على

(1): المرجع السابق، ص: 420 -->424

(2): مفردات الاصفهاني: (ب أ س).

الفقر (البأساء)، ثم الصبر على المرض (الضراء) وهو أشد من الفقر، ثم الصبر على القتال (البأس)، وهو أشد من الفقر والمرض. والخلاصة أن لفظي (البأس – البأساء) متقاربان في الدلالة حيث يشتركان في معنى الشدة والمكروه.

حيث يتميز لفظ البأساء بنوع من الشدة هي شدة الفقر، بينما يتميز (البأس) بنوع من الشدة هي شدة القتال والعذاب والنكال[1].

- يقول الله تعالى:" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ" (البقرة: 217).

وفي سورة النساء:" فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا" (النساء: 160).

وفي موضع آخر يقول تعالى:" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا" (النساء: 61).

فالمصدر (صدا) من (صد – صدود): لما كان فعله متعديا، أي: يصدون غيرهم، فهو بمعنى المنع.

واستعمل المصدر (صدودا) لما لم يكن متعديا، فهو بمعنى الإعراض[2].

- وبالنسبة لكلمة صوم – صيام: فالقرآن الكريم الفعل: "صام" الذي يدل على معنى الامساك عن الطعام والشراب، كما يدل على معنى الصمت وعدم الكلام.

وقد حرص القرآن على أن يميــز في المصدر بين النوعين: فاستخدم للمعنى الأول كلمة

---

(1): محمد محمد داود، مرجع سابق، ص: 426-427.

(2): نفسه، ص: 431.

"صيام" كما في قوله تعالى:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة:183).

واستخدم للمعنى الثاني كلمة "صوم" كما في قوله تعالى:

" فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا" (مريم: 26)[1].

- أما فيما يخص كلمة (الكره) بالضم، فقد وردت ثلاث مرات، في الآيتين التاليتين:

قوله تعالى:" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" (البقرة: 216).

وقوله:" وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا" (الأحقاف:15).

وسياق الآيتين لا يرجح ما ذهب إليه الفرّاء من أن الكُره – بالضم – هو ما أكرهت نفسك عليه، والأصح أن يقال: إن الكره : ما كرهته النفس لمشقته وثقله عليها، ولكن النفس تختاره وتقبل عليه برغم مشقته فالقتال كريه للنفوس، لأنه يحول بين المقاتل وبين طمأنينته ولذاته ونومه وطعامه وأهل بيته، ويعرضه للهلاك أو ألم الجراح، ولكن فيه دفع المذلة، فهو من الضرورات التي لا بد منها، لأن تركه يفضي إلى ضرر أعظم وأشد، وكراهية الطبع لا تنافي تلقي التكليف به برضى، لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة.

ومثل ذلك الحمل والوضع في آية الأحقاف، فهما وإن كان فيهما ثقل ومشقة وألم، إلا أن

(1): المرجع السابق ، ص: 432.

المرأة تقبل هذه المشقة وتتجشمها راضية سعيدة، لأجل الولد.

ففي كلمة (كره) ثلاثة ملامح دلالية:

1- الشدة والمشقة.
2- الرضا بهذه المشقة.
3- كونه مفروضا من الخارج[1].

وقد وردت كلمة (الضرار) في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

قوله تعالى:" وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (البقرة:231).

وقوله:" وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" (التوبة: 107).

فالضرار مصدر (ضار)، يقال: ضاره ضرارا ومضارة، نحو قاتله قتالا ومقاتلة.

وأصل صيغة المفاعلة (فعال ومفاعلة/ضرار ومضارة) أن تدل على وقوع الفعل من الجانبين مثل (خاصم) وقد تستعمل في الدلالة على قوة الفعل مثل: عافاك الله، والظاهر أنها مستعملة هنا للمبالغة الضر، تشنيعا على من يفعله. فالضرار: المبالغة في الضر، وإلحاق الأذى بالغير[2].

(1): المرجع السابق، ص: 433.

(2): نفسه، ص: 438-439

أما الضراء: فقد وردت هاته الكلمة في القرآن الكريم تسع مرات، منها:

قال الله تعالى:" لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (البقرة: 177).

وقوله تعالى:" الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (آل عمران: 134).

وفي سورة الأنعام قوله:" وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ" (الأنعام: 42).

واتفق المفسرون على أن الضراء تعني البلاء الذي يصيب البدن من أمراض وجوع وعري ونحوها.

إن كلمات مثل (ضُّر – ضَر – ضَرَر – ضرار – ضَرّاء) بينها تقارب دلالي حيث تشترك جميعها في معنى البلاء والشدة.

ويختص كل لفظ منها بملمح دلالي مميز على النحو التالي:

الضُّر: إسم لحالة البلاء، وهو عام.

الضَّر: إحداث البلاء وإلحاقه بالغير.

الضَّرر: العاهة (والعمى خاصة).

الضرار: المبالغة في إلحاق البلاء بالغير.

الضرّاء: البلاء الذي يصيب البدن خاصة.

ووردت كلمة (نعمة) في كثير من المواضع، ولم ترد (نعماء) إلا في موضع واحد من القرآن الكريم وهو قوله تعالى:

" وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ" (هود:10).

ومن مواضع كلمة (نعمة) قوله تعالى:

" وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (البقرة: 231).

فالنعمة: هي الشيء الذي يستلذ به الانسان وينعم به والحالة الحسية التي هو عليها من احساس باللذة.

والسياقات التي وردت فيها كثيرة، وتشمل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة. أما النعماء فالسياق الذي وردت فيه يحدد معناها في النعمة التي تكون بعد حال من الشقاء، فقد وردت في مقابل الضراء[(1)].

ولم تفرق المعاجم اللغوية بين النعمة والنعيم فهي كلها الدعة والمال ولكن الاستعمال القرآني للفظين خص (النعمة) بما أنعم الله به على عباده في الدنيا لا في الآخرة، سواء أكانت خيرا ماديا كالمال والجاه والصحة، أم خيرا معنويا نحو الهداية والإرشاد إلى الصواب والتوفيق للعمل به. وجاء هذا المعنى في (49) موضعا من القرآن الكريم ومن ذلك قول الله عز وجل:

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ" (البقرة:40).

---

(1): المرجع السابق، ص: 433.

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة:47).

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة:122).

وقوله تعالى:" فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" (النمل:19).

- أما كلمة (نعيم) فقد استخدمها القرآن الكريم فيما أنعم الله به على عباده المقربين في الآخرة دون غيرها كما في قوله تعالى:

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ" (الطور:17)[1].

- وقد وردت الصفة (كبير) في كثير من آيات الذكر الحكيم، وتعددت معانيها بحسب السياقات الواردة فيها، ومن ذلك:

1- الزائد في الاحسان والعظمة وكل معاني الجلال والجمال على غيره كما في قوله تعالى: " عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ" (الرعد: 9).

2- وصف لتقدم السن كما في قوله تعالى:

" قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" (القصص: 23).

3- وصف للعدد أو الحجم، كما في قوله تعالى:

"وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ" (البقرة: 282).

فالمراد في الآية السابقة: حجم الدين، وهو هنا وصف للمعنوي ومثله وصف الفضل والذنب والفساد وغير ذلك من المعنويات.

---

(1): المرجع السابق، ص: 441.

4- الزعيم و السيد المقدم على قومه كما في قوله عز وجل:
" إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ" (طه: 71)[1].

في القرآن الكريم مختصرات، فإن مجاز كلام العرب يحذف كثيرا من الكلام، إذا كان فيما يبقى دليل على ما يُلقى فمن ذلك قول الله عز وجل: " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" (يوسف: 82)، لما كانت القرية والعير لا يسألان ولا يجيبان عُلم أن المطلوب غيرهما ويريد بذلك: أهل القرية وأصحاب العير.

ولا يجوز على هذا جاء زيد و أنت تريد غلام زيد، لأن المجيء يكون له، ومثل الأول قوله تعالى: "وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ" (البقرة: 177)، أي ولكن البر بر من آمن بالله، لأن البر لا يكون البار، أي أن الخبر على ظاهر الآية دال على ذات وهي المبتدأ، والمصدر (البر) لا يدل على ذلك لأنه معنى[2].

ومن المختصر في القرآن قوله عز وجل:" وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ" (البقرة: 171).

معناه أن الذين كفروا يتشبهون بالمنعوق به، وهي الشاة وأنتم كمن ينعق بها، فتأويل الكلام: مثل الذين كفروا ومثلكم، أو مثلكم ومثل الذين كفروا، كمثل الناعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، فاختصر وحذف[3] كقول النابغة الذبياني:

كأنك من جمال بني أُقيش   يُقعقَعُ خلف رجليه بشنّ

فقال خلف رجليه، ولم يذكر أولا ما ترجع الهاء إليه، ولكنه دل عليه بقوله (من جمال بني أقيش) فكأنه قال: كأنك جمل.

---

(1): المرجع السابق، ص: 461.

(2): أبو العباس المبرد، مرجع سابق، ص: 77-78.

(3): المرجع نفسه، ص: 79-80

ومما جاء في القرآن من المختصرات قوله تعالى:" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ" (البقرة: 234).

والمعنى: أزواجهم يتربصن بأنفسهن[1].

وقد وردت الاسماء الحسنى في القرآن الكريم في مواضع متعددة ومنها: القادر – المقتدر – القدير: ومن ذلك الآيات التالية:

قوله تعالى: "وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ" (الأنعام: 37).

وقوله عز وجل:" إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة: 20 – 109 – 148).

وقوله:" كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ" (القمر: 42).

فالاسم قادر مصوغ على وزن أسم فاعل، الدال على الاتصاف بصفة القدرة، والمقام يقتضي هذه الصيغة دون غيرها، لأن إنزال آية – عند الله – لا يحتاج إلى المبالغة في القدرة، وكذا في السياقات الأخرى التي استعمل القرآن فيها صيغة اسم الفاعل، نحو قوله تعالى:" أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى" (القيامة: 40).

فالاسم (قدير) مصوغ على وزن من أوزان المبالغة (فعيل) للدلالة على المبالغة في اتصاف الله سبحانه وتعالى بالقدرة، والسياق يقتضي استخدام صيغة المبالغة، لأنه ينص على إحاطة قدرة الله على (كل شيء)

واستخدمت (إن) مع لفظ (كل) لتأكيد شمول القدرة الإلهية والمبالغة فيها.

- والاسم (مقتدر) مصوغ على وزن اسم الفاعل (مفتعل) من الفعل المزيد (اقتدر)

---

(1): المرجع السابق، ص: 81-82.

والزيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، فالمقتدر فيه معنى زائد على معنى (القادر) وهو أبلغ وأشد في الوصف بالقدرة، ولذلك استعمل في سياقات العذاب كما في آية القمر (42).

ومما سبق نستخلص أن:

- القادر: وصف لله عز وجل بالقدرة.
- القدير: مبالغة في وصف الله عز وجل بالقدرة على كل شيء، فلا يعجزه شيء ولا يخرج عن قدرته شيء.
- المقتدر: المهيمن والمسيطر، وغلب استعماله في السياقات الدالة على الملك والعذاب[(1)].

وقد تختلف صيغ جموع (الجمع) بعض الكلمات والمفردات في القرآن الكريم فنجد مثلا: جمع كلمة "أسير" وهو: أسرى – أسارى فكلا اللفظين في اللغة مأخوذ من مادة (أ س ر)، ومعناها: الحبس والإمساك.

ولقد ورد الجمع (أسرى) في القرآن الكريم مرتين في سورة الأنفال الآية 67 والآية 70.

بينما ورد الجمع (أسارى) مرة واحدة، وذلك في قول الله تعالى:

" وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ" (البقرة: 85).

وهناك فارق دقيق بين الجمعين في الاستعمال القرآني كما يتضح من الآيات المذكورة:

- فالأسرى: الذين في أيدي أعدائهم.
- والأسارى: هم الذين في القيد.

---

(1): محمد محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 457 – 458.

والمعروف أن صيغة (فعلى) يكثر استعمالها جمعا فيما دل على هلاك أو توجع، كالقتيل والمريض والجريح، وقد حُمل عليه لفظ الأسير لأنه لمَّا أصيب بالأسر صار كالجريح واللديغ، فجمع على فَعلَى وأما صيغة (فُعالَى) فقد كثر استعمالها في معنى الضعف والتعب نحو: كسالى – سكارى – فرادى[1].

إذن فصيغة (أسرى/فعلى) جاءت للتعبير عن المأخوذين في يد أعدائهم.

بينما استعملت الصيغة (فعالى: أسارى) للتعبير عن الأسرى الموثقين في القيد، إشارة إلى حالتهم من الضعف والإعياء وقد اتوا قومهم تحت وطأة القيود.

- إن صيغة الجمع في كلمتي: (آلاف/ألوف) وردت في القرآن الكريم مرتين، هما قوله عز وجل:" إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ، بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (آل عمران: 124 – 125).

فالناظر إلى الآيتين يجد أن لفظ آلاف جاء في الأولى تمييزا للعدد (ثلاثة) وفي الآية الثانية تمييزا للعدد(خمسة).

- أما الجمع (ألوف) فقد ورد في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قول الله عز وجل: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ" (البقرة: 243).

وسياق استعمال الجمع (ألوف) في الآية الكريمة يقتضي الدلالة على الكثرة، وذلك لإبراز التقابل بين ضخامة العدد، وما أصابهم من هلع وذعر حتى خرجوا من ديارهم مع كثرتهم.

والخلاصة : أن اللفظين (آلاف – ألوف) قد وردا في القرآن الكريم جمعا للعدد (ألف) ولكن بينهما فارقا دلاليا يتمثل في:

---

(1): المرجع السابق، ص: 464 – 465.

- دلالة (آلاف) على القلة.
- دلالة (ألوف) على الكثرة.

وبالنسبة للجمعين: حكّام – حاكمون: فكلاهما جمع لحاكم، وقد ورد الجمع (حكّام) في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله تعالى:

" وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ" (البقرة: 188).

وورد الجمع (حاكمين) في القرآن الكريم اربع مرات، مضاف فيها جميعا، وهي:

قوله تعالى:" فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (الاعراف: 87).

وقوله:" وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (يونس: 109).

والفرق بين الصيغتين (حكام – حاكمين) أن المراد بالحكام: القضاة الذين يحكمون بين الناس، فالمراد به الإسمية .

والمراد بالحاكمين معنى الوصفية، اي كل من اتصف بصفة الحكم.

فالملمح البارز في (الحكام) ثبات الصفة، للدلالة على الاسمية أو المهنة. والملمح البارز في (الحاكمين) أنه لمجرد الوصف، دون أن يكون الحكم ثابتا أو دائما[(1)].

ذكرت الكلمتان (خطايا – خطيئات) وكلاهما في اللغة جمع خطيئة، فخطايا: جمع تكسير، وخطيئات: جمع مؤنث سالم وقد وردت المفردتان في آيتين متشابهتين – معنى ولفظا – في القرآن الكريم هما:

قوله تعالى:" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" (البقرة: 58).

(1): المرجع السابق، ص: 466.

وقوله تعالى:" وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" (الأعراف: 161).

وكلتا الآيتين في سياق تذكير اليهود بنعمة الله عز وجل عليهم.

غير أن آية البقرة استخدم فيها جمع التكسير (خطاياكم) الدال على الكثرة، لأن هذه الآية تضمنت مزيدا من التكريم والفضل الإلهي تمثل في وصف الأكل بالرغد، فناسب ذلك غفران (الخطايا) الكثيرة وأما آية الأعراف فلم تتضمن وصف الأكل بالرغد كما أن القول فيها مسند لمجهول (قيل)، فلم يقتض ذلك غفران الذنوب جميعها، فكان جمع القلة "خَطِيئَاتِكُمْ" أنسب إلى هذا السياق.

فمما سبق يمكن القول بدقة الاستخدام القرآني للجموع المختلفة حيث استخدم جمع الكثرة (خطايا) في حال إسناد القول إلى الله (قلنا)، وفي حال وصف النعمة بالرغد، ولما أسند الخطاب لمجهول ولم توصف النعمة بالرغد، لم يقتض ذلك غفران الذنوب الكثيرة(1).

وردت كلمتا (ركَّع – راكعون) في عدة مواضع من القرآن الكريم جمعا لـ : (راكع) ومن شواهدهما:

قوله تعالى:" وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ" (البقرة: 43).

وقوله:" وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة: 125).

فالراكعون: جمع مذكر سالم، وهو لمجرد الوصف دون مبالغة في الصفة، ويدل على التجدد والحدوث.

الركَّع: جمع تكسير، وصيغته تدل على المبالغة في الركوع والمداومة عليه.

---

(1): المرجع السابق ، ص: 477.

وبالنسبة لـ: سُجَّد – سجود: فقد وردت الصيغتان في القرآن الكريم جمعا لساجد ومن شواهدهما قول الله تعالى:" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" (البقرة: 58).

وقوله:" وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة: 125).

فصيغة سجد تدل على المبالغة في الاتّصاف بالسجود والمداومة عليه، وهي الأكثر ورودا في القرآن الكريم (إحدى عشرة مرة).

أما صيغة (سجود) فليس فيها معنى المبالغة في الاتّصاف بالسجود، إلا أنها جاءت في فاصلة آيتي البقرة والحج لتحقيق التناسق الصوتي مع فواصل الآيات السابقة واللّاحقة[(1)].

أما في جمع كلمة "شهر": أشهر – شهور، فـ : أشهر جمع قلة وشهور جمع كثرة[(2)].

وقد راعى القرآن الكريم الدقة في التعبير عن العدد، فاستخدم جمع القلة (أشهر) في تمييز عدد لا يزيد على أربعة، وذلك في الآيات التالية:

قوله تعالى:" الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ" (البقرة: 197).

وقوله:" لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ" (البقرة: 226).

وقوله:" وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا" (البقرة: 234).

---

(1): المرجع السابق، ص: 480، 481، 482

(2): أحمد مختار، الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم (دراسة إحصائية)، عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، ط1 2003، ص:119.

أما جمع الكثرة (شهور) فقد ورد في موضع واحد من كتاب الله هو قوله:

" إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ" (التوبة: 36).

فاستخدم هنا جمع الكثرة تمييزا لعدد أكبر من عشرة " اثْنَا عَشَرَ".

إن الاستخدام القرآني لكلمتي (أشهر- شهور) يفيد اشتراكهما في الدلالة على جمع شهر، غير أن الأول جمع قلة (لمعدود أقل من عشرة)(1).

- وقد استعملت "ذلك – ذلكم" في القرآن الكريم كقوله عز وجل:
" ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ " (البقرة: 232).
وقوله:" ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" (الطلاق: 2).

فقد جاء الخطاب في آية البقرة بضمير المخاطب المفرد (ذلك) وهي للنبي صلى الله عليه وسلم، وقُدّم خطابه مفردا تشريفا له وتكريما، ثم عمم الخطاب ليشمل الأمة جميعا في الآية نفسها في قول الله تعالى: " ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ" (البقرة: 232).

أما آية الطلاق فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمة كلها: فكان ضمير الخطاب للجمع (ذلكم)(2).

وفي قول الله تعالى:" أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ" (البقرة:19).

---

(1): محمد محمد داود، مرجع سابق، ص: 485 – 486.

(2): نفسه، ص: 503

فأفرد الرعد والبرق، وجمعت الظلمات، وذلك لأن الرعد والبرق منشؤهما واحد، أما الظلمات فمصادرها متعددة كالليل وغياب الشمس والمطر وتكاثف السحب، والخسوف والكسوف، وغير ذلك.

كما أن سياق الآية يركز على الخوف، فجمعت الظلمات لإثارة الخوف في النفوس، بينما جاء الرعد والبرق مفردين لأنهما يحملان الرجاء مع الخوف فكثر الخوف بإيراد ما يدل عليه وحده " ظُلُمَاتٌ" بصيغة الجمع، وإيراد ما يدل على غيره – أو يحمل في طياته معنى الرجاء والأمل - في صورة المفرد[1].

ومن غريب القرآن الكريم "المشترك اللفظي"، فهو كما بين السيوطي في "معترك الأقران" أنه من أعظم إعجاز القرآن الكريم: "حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر".

وينكر الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس إطلاق المشترك اللفظي على الكلمة الواحدة التي تؤدي إلى معان متعددة، وعند التدقيق فيها، والتحليل لها يبدوا أن هناك علاقات بين معانيها التي وضعوها لها.

ويثبت فقط المشترك اللفظي في الكلمة الواحدة التي تؤدي إلى معان متباينة، ليس بينها علاقات أو ترابط، حيث يقول: " إن ثبت لنا من نصوص أن اللفظ الواحد قد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين سمينا هذا بالمشترك اللفظي، أما إذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأمثل، وأن الآخر مجاز له فلا يصح أن يعد مثل هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره ويستند الدكتور إبراهيم أنيس إلى رأي ابن درستويه حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي واعتبرها

---

(1): المرجع السابق، ص: 503.

من الجاز فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال، لا يصح إذا أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات(1).

فكلمة "هدى" لها سبعة عشر وجها، منها:

الوجه الأول: البيان، وذلك في قوله تعالى:" أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ" (البقرة: 5).

الوجه الثاني: هدى يعني رسلا وكتبا، وذلك قوله في البقرة: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى" (البقرة: 38)، يعني رسلا وكتبا.

الوجه الثالث: الإيمان، وذلك قوله في سورة مريم: "ويزيد الذين اهتدوا هدى" يعني يزيدهم إيمانا.

الوجه الرابع: دين الإسلام، وذلك قوله في الحج: " إنك لعلى هدى مستقيم" يعني على دين مستقيم حق وهو الإسلام(2).

وكلمة "الكفر" جاءت في القرآن الكريم على أربعة وجوه:

الوجه الأول: الكفر يعني الكفر نفسه، أي الكفر بتوحيد الله والانكار له وذلك قوله

في سورة البقرة:" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ" (البقرة:6)، يعني أن الذين كفروا بتوحيد الله، هم الذين يلقون الله بكفرهم.

الوجه الثاني: الكفر يعني الجحود، وذلك في قول الله تعالى:

" فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ" (البقرة: 89) يعني جحدوا به، وهم يعرفونه.

(1): عبد العال سالم مكرم، قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1408هـ - 1988، ص: 87.

(2): نفسه، ص: 91.

الوجه الثالث: الكفر يعني كفر النعمة، في قول الله تعالى:

" وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ" (البقرة: 152)، أي: لا تكفروا نعمتي.

الوجه الرابع: الكفر يعني البراءة، وذلك في قوله تعالى:

" كَفَرْنَا بِكُمْ" (الممتحنة: 4)، يعني تبرأنا منكم[1].

(1): المرجع السابق ، ص: 93

ج) بعض الجوانب النحوية والتركيبية في سورة البقرة:

يعتبر الربط في اللغة العربية – كقرينة لفظية – من أهم الظواهر النحوية. حيث يتمكن الباحثون من خلال الإفادة من تضافر هذه القرينة مع بقية القرائن اللفظية الأخرى وكذا القرائن المعنوية، الافادة في تحليل التراكيب العربية تحليلا علميا ومنهجيا دقيقا، يقدم وصفا لغويا شاملا، لا يتوقف على قرينة واحدة، هي قرينة الإعراب التي اقتصرت عليها الدراسات النحوية عند العلماء العرب القدامى بما جعلهم يلجأون إلى التأويلات والافتراضات التي أبعدتهم عن وصف الواقع اللغوي، والاستعمال الحقيقي لتراكيب اللغة العربية(1).

وقد أجمل الدكتور تمام حسان مواضع الربط في اللغة العربية في المواضع الآتية:

1- بين الموصول وصلته. 2- بين المبتدأ. 3- بين الحال وصاحبه.

4- بين المنعوت ونعته. 5- بين القسم وأحواله. 6- بين الشرط وجوابه.

كما حدد وسائل الربط في اللغة العربية فيما يلي:

1- الضمير الذي تبدو فيه المطابقة، كما يفهم منه الربط. 2- الحرف.

3- إعادة اللفظ. 4- إعادة المعنى. 5- اسم الإشارة.

6- ال 7- دخول أحد المترابطين في عموم الآخر(2).

فمن أحوال الربط بالضمير: قول الله تعالى: "وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً" (البقرة: 48)، فقد حذف الضمير العائد لعدم وجود ركن الاسناد والتقدير فيه.

---

(1): حسام البهنساوي: أنظمة الربط في العربية: دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة ونظرية التوليد التحويلية مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – مصر، ط1، 1423هـ - 2003م، ص:45.

(2): المرجع نفسه، ص: 45 – 46، نقلا عن: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 213.

أما فيما يخص الربط بالحروف، فكل أداة داخلة على جملة لإفادة معنى الجملة فهي رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة في حيزها وذلك مثل: أدوات النفي والأمر باللام والنهي والاستفهام.....إلخ

ففي النفي بـ: "لا" مثلا، فإذا نفيت بـ "لا"، فقد نفيت إسناد خبرها إلى اسمها فكانت "لا" بهذا المعنى رابطة مفيدة لسلب الإسناد.

ففي قوله تعالى: " فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ" (البقرة: 197)، حيث أن: "لا" نفت حل كل واحد من هذه الثلاثة في أثناء الحج نفيا قاطعا، يرقى إلى مستوى الأمر بالاجتناب أي إلى مستوى النهي، مما جعل الأسلوب يرقى إلى مستوى الأمر في الشكل، إنشائيا في المضمون[1].

وقد يتم الربط بالصفات التي دخلت عليها (ال) الموصولة، لتؤدي الغاية التي من أجلها استعمل ضمير الموصول، وذلك في قوله تعالى: " مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ" (البقرة: 98). أي: لهم.

وقوله تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا" (النساء: 61) أي: رأيتهم[2].

- يجمع الكثير من النحويين أن الفعل قد يكون لاثنين فينسب لأحدهما، والقياس عند الأخفش أنه إذا كان العطف بالواو تأتي بضمير المثنى، فيمكن القول: "زيد وعمرو ذاهبان"، وليس "ذاهب"، أما مع العطف (بـ : أو) فإننا نخبر عن أحد الشيئين، وللمتكلم أن يختار بين أن يعود الضمير على الأول أو على الآخر، وإن كان القياس – عنده – أن يعود على الآخر لقربه.

(1): المرجع السابق، ص: 47 - 48.

(2): نفسه، ص: 49.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ" (البقرة: 45). ففي الآية عطفت (الصلاة) على (الصبر) بالواو وعاد الضمير على أقربهما وهو (الصلاة)، وقد كثرت العلل النحوية والمعنوية لذلك، فقد أجاز الأخفش عود الضمير على الأول أو الآخر في مثل (الآية: 40).

وأجاز بعضهم أن يقع الضمير على شيء آخر التمسه من السياق اللغوي أو من سياق الحال، فقد أجاز القيسي أن يكون الضمير في (وإنها) عائدا على الكعبة، أو الاستعانة، بدليل (واستعينوا)، حيث دل الفعل على المصدر[1].

- وقد وردت الكثير من الآيات في القرآن الكريم استعمل فيها المثنى للتعبير عن المفرد، مثل ذلك قوله تعالى:

" فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ" (البقرة: 229).

فسياق الخطاب في هاته الآية يستدعي أن يكون المقصود بـ عليهما الزوج وحده، وقد يكونا الزوج والزوجة معا[2].

إن سياق الخطاب القرآني بتنوعاته التركيبية والنحوية يمكن أن يستعمل الجمع للتعبير عن المفرد.

حيث ورد ضمير الجمع للمتكلم (نحن – أنا) تعظيما، وجاء في القرآن مرتبطا بالذات العليا كثيرا.

كما استعملت الكثير من الكلمات والصيغ والضمائر للتعبير عن الفرد من البشر: كقوله

(1): محمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق (دراسات تطبيقية)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة – مصر د ـ ط 2005، ص: 57.

(2): المرجع نفسه، ص: 63.

تعالى: "ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (البقرة: 199)، فالمعنى بـ: (الناس) هنا، إبراهيم عليه السلام[1].

ويربط أبو عبيدة بين هذا الاستعمال وأسلوب التعظيم، ويجعل ذلك من الأساليب العربية حيث يقول "وقع المعنى على رجل واحد، والعرب تفعل ذلك، فيقول الرجل: فعلنا كذا وفعلنا، وإنما يعني نفسه"[2].

وقد جعل الزركشي ذلك من خطاب العام والمراد به الخاص، وأضاف إلى ذلك آيتين أخريين، أولاهما قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ" (البقرة: 13)، فقال: إن المعنى بـ (الناس) هنا عبدالله بن السلام، والأخرى قوله عز وجل: " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ" (الحجرات: 04)، على أن المعنى بـ (الذين)، الاقرع بن حابس[3].

وقد وقف الفراء عند قوله تعالى: " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ" (البقرة: 29)، فقال إن السماء في معنى جمع، لذا عاد الضمير عليها في (فسواهن) لأن المعنى معروف

أنهن سبع سموات، وكذلك الأرض وقال الأخفش: إنما ذكر سماء واحدة وذكرها دل عليهن كلهن، ثم أشار إلى قول بعضهم، إن السماء معناها جمع ولفظها لفظ الواحد وهي جمع مذكر كاللبن وأنكر هذا القول، وجاء بقول ثالث هو أن يراد بها الجماعة أي: كل سماء، كما تقول: هلك الشاة والبعير، يعني كل بعير وكل شاة[4]. ومثل ذلك (مسكيـــــن)، و (مســــاكين) في قوله تعالى:" فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِيـــنٍ" (البقرة: 184)، وقد

(1): اعراب ثلاثين سورة، ص: 238، نقلا عن المرجع نفسه، ص: 68.

(2): مجاز القرآن، ج1، ص: 108.

(3): البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 220 – 221.

(4): محمد أحمد خضير: التركيب والدلالة والسياق، ص: 78 – 79.

عده الفارسي مفردا وقال :" إن الإفراد جاز وحسن، لأن المعنى على كل طعام مسكين[(1)].

وفي قوله تعالى:" لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" (البقرة: 285). فلأن: (أحد) قد تدل على الجمع، فقد وقعت قبلها (بين) التي لا بد أن تقع على شيئين. فما يرشح لفظة (أحد) لتأدية معنى الجمع في الآيات هو السياق، فوجود حرف الجر (من) في سياقها اللغوي في الآية جعلها تفيد العموم، وكذلك وجود الظرف (بين) الذي لا يأتي إلا مع الجمع[(2)].

وهناك ألفاظ تتفق صورتها اللفظية، نستعمل بنفس لفظها في الإفراد والجمع وقد جاءت من ذلك ألفاظ في القرآن الكريم حيث تناولها أصحاب الدراسات القرآنية بالتحليل.

ومن أمثلة ذلك لفظة (الفلك) فقد جاءت بمعنى المفرد في قوله تعالى: " فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" (الشعراء: 119 – يونس: 73)، وجاءت بمعنى الجمع في قوله تعالى:" وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ" (البقرة: 164).

وقد عدها سيبويه في حالة الجمع جمع تكسير على وزن (فُعل)[(3)]، وهو على نفس الوزن في الإفراد، ومن هنا جاء له ابن جني بألفاظ تعادله في حالتي الإفراد والتثنية، فـ (فلك) في المفرد بمنزلة (فُعل) ، و(خُرج) وفي الجمع بمنزلة (حُمر)، (صُفر)، فاتفق اللفظان واختلف المعنى[(4)].

وقد حدد النحاة استعمال الأسماء الموصولة، فكل اسم منها له استعماله من حيث الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، إلا أنها قد تخالف هذا الاستعمـــــــال ومثال ذلك قوله

---

(1): الحجة للفارسي، ج2، ص: 208.

(2): المرجع السابق، ص: 83.

(3): سيبويه، الكتاب، ج3، ص: 577.

(4): ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 101.

تعالى:" مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ" (البقرة: 17)، فالاسم الموصول: الذي (للمفرد المذكر)جاءت للدلالة على معنى الجمع(1).

وللأخفش في تحليل هذه المخالفة رأيان:

أولهما: أن (الذي) جعلت في معنى جمع بمنزلة (من)(2)، أي أنها مبهمة مثلما يوضحها ما بعدها، والرأي الآخر: أنها في معنى جمع كما يكون (الانسان) في معنى (الناس)(3) أي أن المراد بها الجنس.

ومن الأسماء الموصولة أيضا: من، وتكون مفردة في اللفظ ومعناها الجمع وقد مثل سيبويه لذلك بقول الله تعالى:" بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة: 112)، فقال: " أحرى الأول على لفظ الواحد، والآخر على المعنى" وفي كتابه باب لاستعمال (من) بمعنى المثنى والجمع والمفرد يسميه "باب إجرائهم صلة (من) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللّذين)، وإذا عنيت جميعا كصلة (الذين)"(4).

إن السياق في الخطاب القرآني له دور هام في تقدير مرجع الضمير، فقد وضع النحاة قاعدة ثابتة للضمير لخصها الزركشي حسين إن:

"المضمر لا يكون إلا بعد الظاهر لفظـا ومرتبة، إلا في أبواب ضميـــر الشأن والقصة

---

(1): محمد أحمد خضير، مرجع سابق، ص: 88.

(2): معاني القرآن للأخفش، ج2، ص: 456.

(3): نفسه، ج1، ص: 49.

(4): محمد أحمد خضير، مرجع سابق، ص: 90.

وباب نعم وبئس، كقوله تعالى:" فنعمَّا هيَ" (البقرة: 271) وقوله تعالى:" سَاءَ مَثَلاً القَومُ" (الأعراف: 177)"[1].

ففي قول الله عز وجل:" الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (البقرة: 46). فجعل المصدر مرجعا للضمير، يفهم من الفعل المذكور في الجملة ويكون من لفظه، وقد يفهم من وصف مذكور أيضا مثل اسم الفاعل (ملاقو) فالتقدير هنا: "إلى اللّقاء".

وقد يعود الضمير على لفظ في الجملة أو مفهوما من المعنى العام للآيات وهذا ما نجده عند أبي حيان، في قوله تعالى:" وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا" (البقرة: 72)، حيث قال: "الضمير في فيها عائد على النفس وهو ظاهر، وقيل على القتلة فيعود على المصدر المفهوم من الفعل، وقيل على التهمة فيعود على ما دل عليه معنى الكلام".

وهكذا يتحكم المعنى في مرجع الضمير، بل إن الضمير قد يعود على لفظ في الجملة، لكنهم يقدرون معناه مرجعا للضمير، فيقولون إن الضمير عائد على معنى اللفظ.

وقد يعود الضمير إلى اللفظ فيقولون إنه عائد إلى ذلك اللفظ دون معناه لأن المعنى المقصود غير هذا اللفظ، ومثل ذلك قوله تعالى:" إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ" (البقرة: 271)، فالضمير في (تُخْفُوهَا) عائد على معنى الصدقات وهو التطوع فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظا لا معنى[2].

إن للسياقين اللغوي وغير اللغوي أهمية كبيرة في تقدير مرجع الضمير فقد يكون الضمير عائدا على لفظة في السياق اللغوي (وقد تكون المخالفة في مطابقة النوع).

---

(1): محمد أحمد خضير، مرجع سابق ، ص: 113.

(2): المرجع نفسه، ص: 115 ، 116 ، 117.

في مثل قوله تعالى:" وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً" (البقرة: 143)، قال الأخفش "يعني القبلة" ولذلك أنثت[1].

وقوله تعالى:" وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ" (البقرة: 132)، قال الزجاج قوله: (بها) هذه الهاء ترجع على الملة، لأن اسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله:" وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ" (البقرة: 130) وقوله تعالى:" إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ" (البقرة: 132)[2].

ومعنى ذلك أن تقدير رجوع الهاء إلى الملة جاء من وجود ألفاظ في السياق اللغوي في الآية (132) تدل عليها :" إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ".

---

(1): الأخفش، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص: 105.

(2): نفسه، ص: 211.

د) بعض الملامح الصوتية في سورة البقرة:

1) الصوت اللغوي في القرآن الكريم:

يطلق على اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية وأداة التواصل الرئيسية بين البشر وهي إضافة لذلك ظاهرة صوتية، لها ما يميزها عن سائر الرموز الأخرى غير اللغوية. ومنه فإن دراسة أي نص أو خطاب دراسة علمية تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميزة تنتج منها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة.

والقرآن الكريم الذي هو أرقى نص على الإطلاق قد وظف كل ما يمتلكه الصوت اللغوي من قدرات، وبخاصة القدرة على التصوير من جهة، والتنغيم من جهة أخرى، وذلك بهدف بلوغ أعمق مواطن التأثير في المتلقي، فغدا الصوت فيه صورة مميزة للتناسق الفني ومظهرا من مظاهر تصوير معانيه وآية من آيات إعجازه الأسلوبي والبياني الرفيع(1).

2) دلالة الحركة:

للحركة الإعرابية دور كبير جدا في اللغة العربية، حيث أنها تبرز دلالة الكلمة، سواء على صعيد بنيتها التشكيلية، أو على صعيد حالتها الاعرابية.

كما أن الفتح أو الضم أو الكسر أو السكون الذي يعتري الكلمة بنسب متفاوتة من شأنه تشكيل ملامح الكلمة وتحديد صورتها النطقية، بسبب الصفات التي تميز كلا منها.

وفي القرآن الكريم نماذج أكثر من أن تحصى اختيرت فيها الكلمات اختيارا دقيقا ليشاطر بناؤها الحركي حالتها التعبيرية، كما اختيرت فيه كلمات أخرى وركبت في جمل بحيث يتساوى بناؤها الحركي إضافة إلى حركتها الإعرابية مع الحالة التعبيرية(2).

---

(1): ماجد النجار، من ملامح الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، مجلة أهل البيت، العدد الرابع، ص: 223.

(2): نفسه، ص: 225.

3) دلالة الإيقاع:

لا يكاد يختلف اثنان على أصالة الإيقاع القرآني وتفرده، شكلا وتنوعا وحلاوة وتأثيرا منذ زمان نزوله، وصولا إلى عصرنا هذا.

فهناك من يرى أن جمال نظم القرآن، الذي هو أساس إعجازه قائم على اصطناع الايقاع الذي يطبع بنية كل سورة من السور بطابع خاص، بل إن هذا الطابع الايقاعي يتنوع بصور وأشكال متنوعة في السورة الواحدة، تبعا للموضوع تارة، ولمقتضى الحال تارة أخرى.

إن سر الإعجاز القرآني يكمن في نظمه، وإن جهات النظم ثلاث: في الحروف والكلمات والجمل، فإن " الحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازا أبديا، فهو أمر فوق الطبيعة الانسانية.

ويدخل في نظم القرآن، بل ويتصدّره، إعجازه الصوتي والموسيقي، وذلك من خلال "ترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والتفشي والتكرير". وهو ما يلاحظ في جميع آيات القرآن، لا تشذ عنه جملة أو كلمة أو حرف ولا حتى حركة(1).

في قول الله عز وجل "صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ" (البقرة: 18)، فالكلمات الثلاثة: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، في كل صوت من أصواتها دلالة خاصة فكل كلمة من هذه الكلمات تبدأ بحرف يكاد يلقي بظلاله القوية على مجمل الكلمة من الناحية الصوتية، فـ " صُمٌّ" تبدأ بحرف الصاد، و" بُكْمٌ" تبدأ بحرف الباء و" عُمْيٌ" تبدأ بحرف العين.

(1): المقال السابق، ص: 234.

وحين سماع تلاوة هذه الكلمات الثلاث، أو أثناء قراءتها، منتظمة إلى بعضها البعض، أو منفردة، نكاد نتلمس حروفها ونتحسسها أكثر من سائر حروف الكلمة لأسباب منها:

1) إن ما يلي كلا من هذه الحروف الثلاثة هو حرفا الميم والنون الأغنان، وهذان الحرفان مما ألفته الآذان بسبب كثرة ورودهما في القرآن الكريم، خاصة في الفواصل القرآنية، وكثرة ورودهما في القرآن الكريم منح هذه الحروف الثلاثة صفة البروز والانكشاف والتألق، في هذه الكلمات، خاصة وأن هذه الصفات تكاد تكون من سماتها البارزة، حيث أن (الصاد) حرف احتكاكي، و(الباء) حرف انفجاري و(العين) حرف حلقي احتكاكي، وذلك يزيد من نصاعة هذه الحروف بإزاء حرفي الغنة (الميم والنون).
2) أثناء تلاوة هذه الكلمات الثلاث، نلاحظ أن الحروف الأولى منها يقع عليها ما يسمى في الدرس الصوتي، بالنبر، الذي يعني "نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاورها.

وللنبر في حقيقة الأمر قيم صوتية (نطقية) وأخرى فونولوجية (وظيفية) فهو: "من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يميز مقطعا من آخر، أو كلمة من أخرى. أما من الناحية الوظيفية فإن النبر يقود إلى تعرف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد، عند تنوع درجات نبرها ومواقعه بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة"(1).

- إن التناسق في النص القرآني الكريم يبلغ الدرجة العليا في احداث جماليات التصوير الفني، والإيقاع الموسيقي أحد ملامح هذا التناسق وهو ناتج عن ملاءمة اللفظ مع النسق الخاص الذي ورد فيه كما أنه يتنوع بتنوع الفواصل القصير منها والطويل، المتماثل منها والمتخلف.

(1): المقال السابق، ص: 235

إن الإيقاع في النص القرآني، إيقاع لغوي متفرد لا يماثله إيقاع أو يقترب منه، إنه ايقاع جماعي – إن صح التعبير – يقوم به الحرف الصوتي بدوره، والكلمة في نسقها بدورها، والجملة في سياق التركيب بدورها والآية من خلال السورة والموقف بدورها....والفاصلة من خلال التردد الصوتي والتكرار الايقاعي بدورها... إنه إيقاع منبعث من النص في تكوينه الصوتي واللفظي، يبرزه كل مكونات النص القرآني.

"فالفاصلة القرآنية عنصر أساسي من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى وتمام التوافق الصوتي في آن واحد".

والفاصلة في القرآن هي ما تنتهي به الآية القرآنية، وهي جزء من الآية، وعنصر تعبيري متميز وثير قوي للإيقاع، وهي – كملمح أساسي من ملامح الإيقاع الموسيقي والنظم الصوتي في القرآن – تنضوي على دلالتين هامتين:

الدلالة الأولى: وهي دلالة صوتية تتمثل في الإيقاع والرنين الصوتي المحكوم بنسق الآية والسياق العام.

والدلالة الثانية: دلالة معنوية تحمل تمام الفكرة في الآية

4) الصوت الأقوى في الأداء القرآني:

يحدث في الأداء القرآني أن يحتل صوت مكان صوت، أو يدغم صوت في صوت فيشكلان صوتا واحدا، ويكون الصوت المنطوق هو الأقوى في الإبانة والإظهار وهو الواضح في التعبير، حينئذ يكون المنطوق حرفا، والمكتوب حرفين، والمعول عليه ما يتلفظ به أداءً، وينطق بجوهره صوتا، ذلك ما يتحقق بعده الصوتي في ظاهرة الادغام.

إن رصد هذه الظاهرة أصواتيا في التنظير القرآني مهمة جدا لمقاربتها من ظاهرة "المماثلة" عند الأصواتيين.

والادغام عند النحاة:" أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصير اتصالهما كحرف واحد"[1].

والادغام عند العرب هو الأصل في المماثلة عند الأوروبيين، أن يتغلب صوت أولي على صوت ثانوي، فالصوت الأولي هو الأقوى، لأنه المتمكن المسيطر على النطق وأحيانا يحل محلهما معا صوت ثالث مجاور يمثل الصوتين السابقين بعد فنائهما وتلاشي أصدائهما كما في الإبدال[2].

وعمد القراء رضوان الله عليهم إلى جعل الحروف المدغمة على نوعين من التقسيم:

الأول: الحرف التي تدغم في أمثالها، واصطلحوا عليه المدغم من المتماثلين.

الثاني: الحروف التي تدغم في مجانسها ومقاربها، واصطلحوا عليه المدغم من المتجانسين والمتقاربين[3].

---

(1): محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان ط1، 1420هـ - 2000م، ص: 116.

(2): المرجع نفسه، ص: 118.

(3): نفسه، ص: 119 – 120.

أولا: الإدغام بين المتماثلين:

يقول الله تعالى:" وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ" (البقرة: 213)، فأدغمت "الباء" في مثلها.

وفي قوله تعالى:" يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا" (النبأ: 40)، ادغمت "التاء" في مثلها وكذا قولـــه تعالى:" فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ" (البقرة: 16)، أما الراء فادغمت تقي مثلها في قوله تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ" (البقرة: 185).

وبالنسبة لقوله تعالى:" مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ" (البقرة: 255) فقد أدغمت العين كذلك في مثلها.

وقوله تعالى:" ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" (البقرة:2)، ادغمت الهاء في مثلها أيضا.

ثانيا: الإدغام في المتجانسين والمتقاربين:

ومثال ذلك قوله تعالى:" وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ" (البقرة: 251)، فهنا أدغمت الدّال في الجيم، فحرف الدال يدغم ما لم يفتح بعد ساكن في عشر أحرف إلا مع التاء فينتفي الشرط للتجانس.

أما في قوله تعالى:" أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" (البقرة: 266)، فتدغم الراء في اللام ما لم تفتح بعد ساكن.

وتدغم الكاف في القاف إذا تحرك ما قبل الكاف في نحو قوله تعالى:" قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ

فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ" (البقرة: 144)[1].

وقد ألحق القراء إلى ما سبق أحكام النون الساكنة والتنوين من وجه لأن لهما أربعة أحكام هي: الإظهار، الإدغام، الإقلاب، الإخفاء.

ولما كانت هذه الأحكام الأربعة تتحكم في إخراج الصوت وحدوثه ضمن حيثيته المؤشرة، حسن التنبيه عليها والإشارة إليها في حدود الصوت اللغوي.

فالإظهار عند ستة أحرف، وهي حروف الحلق: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين والخاء. وبعضهم يخفي عند الخاء والغين.

والإدغام عند ستة أحرف، حرفان بلا غنة، وهما اللام والراء. وأربعة بغنة وهي النون والميم والياء والواو والإقلاب عند حرف واحد وهو الباء بقلب التنوين ميما في نحو قوله تعالى:" قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ" (البقرة:33).

ويقلب التنوين ميما في نحو قوله تعالى" صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ" (البقرة: 18)[2].

والإخفاء يكون عند بقية حروف المعجم العربي، وهو حالة بين الإدغام والإظهار ولابد من الغنة معه[3].

فتخفى النون عند الثاء في نحو قوله تعالى:" كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً" (البقرة: 25).

(1): المرجع السابق، من ص: 120 إلى ص: 129.

(2): المرجع السابق، ص: 130.

(3): السيوطي، الاتقان في علوم القرآن: ج1، ص: 270، نقلا عن المرجع السابق، ص:131.

هـ) أثر الدلالة الصوتية في التراكيب القرآنية:

انصبت عناية القرآن العظيم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب، وتوهج العبارة في منظار حياتهم، وجعل البيان القرآني يحقق موسيقى اللفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه.

فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجه آخر.

وبيان القرآن المجيد تلمح فيه الفروق بين مجموعة هذه الأصوات في إيقاعها، والتي كونت كلمة معينة في النص، وبين تلك الأصوات التي كونت أصواتا أخرى فتتعرف فيه على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة تختلف عن سواها قوة أو ضعفا، رقة أو خشونة[1].

إن التنوعات الصوتية في سياقات القرآن الكريم، تتعاضد معا لتشكيل منظومة جمالية تشمل في إطارها العام معطيات اللغة كلها من أصوات وصرف ونحو ودلالة، أي أنها تبدأ من الوحدة الأولى للبناء التركيبي في الكلمة وهو الصوت لتصل إل الوحدة الأعظم في البناء وهي الدلالة.

إن إيقاع اللفظ المفرد وتناغم الكلمة الواحدة، عبارة عن جرس موسيقي للصوت فيما يجليه من وقع في الأذن أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية. لهذا كان ما أورد القرآن الكريم في هذا السياق متجاوبا مع معطيات الدلالة الصوتية.

---

(1): محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، ص: 163.

فالدلالة الصوتية في القرآن الكريم تشكل الوقع الخاص المتجلي بكلمات مختارة، تكونت من حروف مختارة فشكلت أصواتا مختارة.

هذه السمات في القرآن الكريم بارزة الصيغ في مئات التراكيب الصوتية في مظاهر شتى ومجالات عديدة، تستوعبها مجموعة هائلة من ألفاظه في ظلال مكثفة في الجرس والتغم والصدى والإيقاع[1].

قال الخطابي (ت: 383 – 388 هـ): " إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة: لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه"[2].

إن من خصائص القرآن الصوتية أنه استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة وتمرس في استيفاء وجوه التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة.

ومن بين الدلالات الصوتية في القرآن الكريم ما يلي:

1) دلالة الفزع الهائل:

استعمل القرآن طائفة من الالفاظ ،تم اختيار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها ،واستوحى دلالاتها من جنس صياغتها، فكانت دالة على ذاتها بذاتها. فالفزع مثلا والشدة والهدة والاشتباك والخصام والعنف دلائل هادرة بالفزع الهائل والمناخ القاتل.

2) الإغراق في مد الصوت واستطالته:

هنالك مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد وبالرغم من ندرة صيغ هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعد بالأصابع، فإننا نجد القرآن الكريم

(1): ينظر: المرجع نفسه، ص: 163-164.

(2): الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص: 27، نقلا عن المرجع نفسه، ص: 165.

يستعمل أفخمها لفظا، وأعظمها وقعا فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدتها وقوتها، لتستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلبث والرصد والتفكير.

3) الصيغة الصوتية الواحدة:

وظاهرة أخرى جديرة بالعناية، هي تسمية الكائن الواحد والأمر المترقب المنظور، بأسماء متعددة ذات صيغة واحدة، بنسق صوتي متجانس، للدلالة بمجموعة مقاطعه على مضمونه، وبصوتيته على كنه معناه. ومن ذلك تسمية القيامة في القرآن بأسماء متقاربة الصدى، في إطار الفاعل المتمكن والقائم الذي لا يجحد.

هذه الصيغة الفريدة تهز السامع من الأعماق، ويبعثه صوتها من الجذور ليطمئن يقينا إلى يوم لا مناص عنه ولا خلاص منه، فهو واقع يقرع بقوارعه وحادث يثير برواجفه. فالصدى الصوتي والوزن المتراص والسكت على هائه أو تائه القصيرة تعبير عما وراءه من شؤون وعوالم وعظات وعبر ومتغيرات.

4) دلالة الصدى الحالم:

تنطلق في القرآن الكريم أصداء حالمة، في ألفاظ ملؤها الحنان، تؤدي معناها من خلال أصواتها، وتوحي بمؤداها مجردة عن التصنيع والبديع، فهي ناطقة بمضمونها هادرة بإرادتها، دون إضافة وإضاءة، وما أكثر هذا المنحى في القرآن، وما أروع تواليه في آياته الكريمة.

5) دلالة النغم الصارم:

أصوات الصفير في وضوحها، وأصداؤها في أزيزها، جعل لها وقعا متميزا ما بين الأصوات الصوامت نتيجة التصاقها في مخرج الصوت، واصطكاكها في جهاز السمع، هذه الأصوات ذات الجرس الصارخ هي : الزاي، السين، الصاد، ويلاحظ لدى عرضها أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، وهي بذلك تعبر عن الشدة حينا، وعن العناية بالأمر حينا آخر، مما يشكل نغما صارما في الصوت،

وأزيزا مشددا لدى السمع، يخلصان إلى دلالة اللفظ في الاستعمال، ومؤداه عند إطلاقه في مظان المعنى.

6) اللفظ المناسب للصوت المناسب:

كل لفظ في القرآن الكريم اختير مكانه و موضعه من الآية أو العبارة أو الجملة فإن غيره لا يسد مسده بداهة، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، إلا أن استنباط ذلك صوتيا يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدق، بحيث يتعذر عل أية جهة فنية استبدال ذلك بغيره، إذ لا يؤدي غيره المراد الواعي منه، وذلك معلم من معالم الإعجاز البياني في القرآن[1].

ومن بين التنوعات الدلالية الصوتية كذلك، ما يتعلق بالحكاية الصوتية في جانب حكاية الصوت لمعناه ودلالته من خلال بعض ألفظ القرآن الكريم مثل: كبكبوا، صرصر، خر وصر ومس واثاقلتم وادارکوا، وغيرها من الألفاظ القرآنية التي تحكي معناها من خلال اصواتها، لتظفي صورة غاية في الجمالية والتنسيق الدلالي.

(1): ينظر: المرجع السابق، ص: 165-188